

رَاسَايَاتُ آدِيَّة

على هامسهم البنية

- ٣ -

بمعلم الاستاذ محمد سبب الحياوي

بمعلم

تعريف:

مؤلف الكتاب الدكتور طه حسين الغني عن التعريف لما له من المؤلفات والمصنفات والمقالات البديعة في ميادين الأدب والاجتماع والسياسة في اللغتين العربية والفرنسية .

أهمية الكتاب :

ان الكتاب الذي بين ايدينا عبارة عن بضع عشرة مقالة عن السيرة النبوية وما يتصل بها وهي خواطر فاغت بها نفس المؤلف عندما قرأ السيرة النبوية في تأليف ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري . ويمكننا ان نعتبر فصول الكتاب ثلاثة اقسام :

اولها :

تمهيد ومقدمة لحياة الشارع الاعظم ويمثلها « حفر زمزم » وقد صورته الكاتب بطريقة خيالية روائية بارعة (فالتحكيم) وهو كيف اختصم القرشيون لامتهلاك ببر زمزم وكيف ظفروا اخيراً عبد المطلب « والفداء » كيف نذر عبد المطلب ثم حاول ان يذبح ابنه عبد الله ثم غداه بمائة من الابل « والاغراء » في زواج عبد الله من آمنه بنت وهب واغراء عبد المطلب لابنه عبد الله في السفر الى الشام للربح والتجارة « والبين » في رجوع عبد الله وموته في يثرب وما كان لذلك من وقع عند اهله وحاشيته .

ثانيها :

في انتشار اليهودية ثم النصرانية في بلاد العرب وتبجدها في فصول « انقضاء » عن التبابعة وكيف انتشرت اليهودية في بلاد اليمن و (الردة) و (الطاغية) في قتل عمرو ولاخيه حسان بن تبع وارتداداه عن دين ابائهم وخراب اليمن على عبده ثم مقتله وتفرق أمر حمير وضباع الملك العربي في اليمن . فهذان المقتلان يمثلان زوال الوثنية وسيادة اليهودية والعكس بالعكس ثم (البشير) عن تبشير كيمون ونشره المسيحية و (زهاب الاسكندرية) في الانتقام للمسيحية في اليمن وتأثير الرومان وحملهم النجاشي وقواده ارض يثربوا للشهداء المسيحيين في نجران ، ونجاحهم في الغزوة وتبصيرهم لليمن وبنائهم كنيسة صنعاء كي تضاعف الكعبة ، ثم غزو الاحباش للكعبة ورجوعهم عنها خائبين .

ثالثها :

وهو القسم الاخير يتضمن الابحاث الانبية (اليتم) في نشأة النبي وقصة ميلاده و (الحاضنة) في احتضان الجارية له ورحلته معها ومع والدته الى يثرب حيث شاهد اخواله بني النجار ، وفي انشاء العودة توفيت والدته فبقى في عهده الحاضنة وحسن رعايتها . ثم نرى وفاءه لحاضنته في حياتها . ومما فيها خلافة عثمان بن عفان و (الموضع) عن حياته عليه السلام في البادية وبركانه لحليمة مرضعه ثم حديث شداد بن اوس عن النبي وما جرى له مع شيخ بني عامر والحديث ذو مكانة مرموقة لانه يتعلق بأمر النبوة علاوة على اعطائه حوررة واضحة لحياة الشارع الاعظم ، ويدل الانتقاء واختيار المناسبة على قدرة كبيرة واطلاع واسع و (البر) عن نشأة الرسول في مكنته جده عبد المطلب ووفاء جده وقيام عمه ابي طالب في تربيته وفي هذا البحث حسن الخاتمة في استغفار النبي لاهله وللرجل آخر ثم توجيهه اليوم له في كتاب الله عز وجل . والمرمى من ذلك كله توجيه الناس نحو المبادئ الدائمة والمثل العليا في الاقتداء بالسيرة الطاهرة .

فالكتاب عرض تاريخي بديع في ثوب ادبي قشيب ارتبطت

حوادثه بأسباب ايجاد الكاتب في تحديدها ببراعته المعروفة
 وأسلوبه الجذاب . واعم من هذا كله انه في الموضوعات الاولى
 بصورة خاصة صور الحياة العربية قبيل الاسلام اي في الفترة
 الاولى من حياة الرسول . حين تقرأ الكتاب تشعر بلذة
 وانتعاش فكأنك انت نفسك بين اولئك الاعراب الاذكياء
 تحس بما يحسون وتتألم بما يتألمون . فالكتاب عرض طريف
 للسيرة بأسلوب حلو عليه مسحة الابتكار مما يقربه الى الاذهان
 العصرية ويزيد من قيمته ويضعه بين مصاف انتاجات (المدرسة
 الحديثة) في الكتابة .

فما حري الشبان ان يقرأوا السيرة النبوية ويتعذبوا بأدبها
 ويتعسكوا بمبادئها ويسيروا على هداياها هم بين ايديهم هذه
 التحفة الثمينة التي صاغها الكاتب صوغاً دقيقاً حيث اسبغ
 عليها من قدرته الفاتقة وثقافته الواسعة ما جعل الكتاب اية
 في الامتاع والجودة .

وما بلغت نظري ما ذكره المؤلف في بحث عبدالله بن عبد
 المطلب عن اقتراب الحرام منه بما كان ينوي من سوء لقاطمة
 الجسمية وذلك يدعوني ألا اقطع بصحة ما قاله بل اشك فيه ،
 وكذلك مقال (البشير) في تبشير كيمن والصرع بين
 النصرانية واليهودية فقد وجدت اوله غامضاً لا تدرك الغاية منه
 بسهولة مما يجعله غير منسجم مع بقية البحوث .

أسلوب التعبير :

لطف حسين كما اغيره من كتاب المدرسة الحديثة أسلوب خاص
 به اهم صفاته السهولة والوضوح وتنظيم في المعاني يتبعه ترتيب
 في الالفاظ فهو بعيد عن المعاني العادية منزّه عن الالفاظ العامية
 كما انه خال من الاعراب والخرقة وكل هذا مما يدخل ضمن
 البلاغة المقبولة اذ لا يحتاج القارئ الى مراجعة المعجم حين
 مطالعته الكتاب ، اللهم اذا استثنينا بعض الكلمات جاءت عرضاً
 في تضاعيف الكتاب غير ان معانيها ذكرت في الحاشية
 واسلوب الكاتب مكون من فقرات وجمل ليست طويلة
 ولكنها ممتازة بمجودة الرصف والنظم وحسن السبك والانسجام .

وقد يستشهد بآيات من الشعر وذلك لا كمال المعنى وتوضيح
 الفكرة كما في (ص ٥٠ ، ٥٢) ويتأثر الكاتب بالعلم لكنه
 يخضعه للادب في (ص ٧٠) نجد كلاماً علمياً فلسفياً يكاد
 يكون لاهوتاً صرفاً ولكن المسحة الفنية لا تفارقه ، وهذا
 ما لمسته في كتبه الأخرى كالادب الجاهلي ايضاً .

ومن احوال الكاتب ولده بالتكرار اللفظي والمعنوي
 (لاحظ ص ٢ في المقدمة وص ٢) .
 وهناك بعض عباراته المتكررة :

ويتفكرون من اولئك وهؤلاء . ويسخرون من اولئك
 وهؤلاء (ص ٥) . فيها حب لاحد له ورغبة لاحد لها وحنان
 لاحد له ايضاً (ص ٤٢) .

وكان في هذا الصوت غموض وكان في هذا الصوت الابهام
 وكانت في هذا الصوت . . . وكان . . . وكان . . . الخ
 (ص ٢) .

وما اعاده بضع مرات جملة (وكما ذهبت) (ص ٢٥) .
 كما اورد سبع جمل كل واحد منها مصدرة بكلمة (كن)
 (ص ٩٢) واربع جمل مبدوءة بكلمة (كان) (ص ١٠٥)
 وست جمل تبندى بكلمة (اذا) (ص ١٧٢)
 وكثير غيرها .

ويروق له الا يعطى حكماً جامياً قطعياً في بعض الامور وان
 كان في نفسه جازماً ولذا فهو كثيراً ما يستعمل هو كذا ،
 ويكاد يكون كذا ، وعي ذاهلة او كالداهلة ، ولكنها لا تستطيع
 ان تريد او تنفذ ما تريد . . .

وعلى الجملة فأسلوبه بارع وعليه طابع خاص هو طابع
 الدكتور طه حسين لا يشركه فيه غيره .

الموصل

محمد سبت الجبوري

المحامي سلمان محمد آل ابراهيم

يتوكل بكافة الدعاوى داخل الميثاق وخارجه
 (رقم التلفون ٥٠٢) ويراجع بشأنه في النجف ادارة مجلة
 البيان (رقم التلفون ١٥٢)